

إعداد
د.هشام عزمي

الإلحـاد

سؤال وجواب





تأليف: د. هشام عزمي

الطبعة: الأولى

رقم الإيداع: ٢٧٠٧/٢٠١٧م

إخراج فني: مؤسسة الفردوس

تصميم الغلاف: *Tebr Group*

دار المعالى

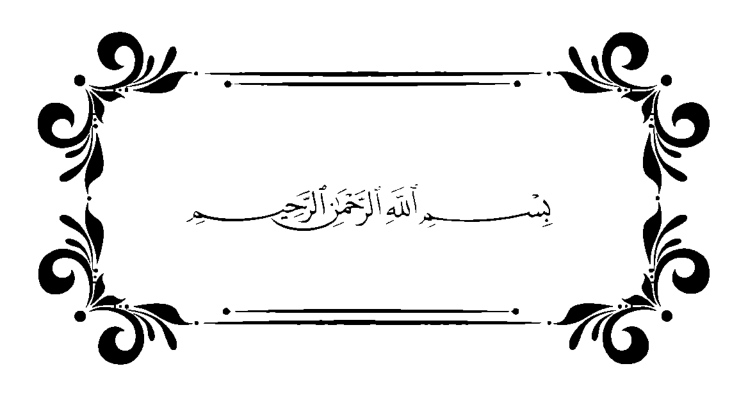


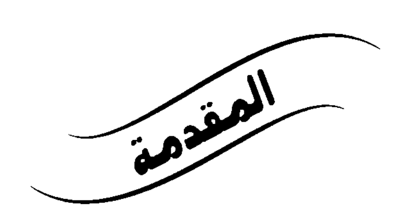
الإلحاد

سؤال وجواب

د. هشام عزمي

دار المعالي


بسم الله الرحمن الرحيم



تحكي بعض كتب أهل الكتاب أن مزارعًا ملحدًا تحدى جاره المؤمن الذي يدعو الله أن يبارك محصوله قائلًا: ما رأيك أن يزرع كل واحد منّا محصوله بحيث تدعو أنت الله وأنا أسبه، ولنر النتيجة؟

فلما كانت نهاية الموسم وجاء المزارع الملحد بمحصول وفير، ذهب إلى جاره المؤمن منتشيًا وشامتًا قائلًا: لماذا لم يخسف الله بمحصولي رغم سبابي له؟ فقال له المزارع المؤمن كلمة رهيبة:

★ إن الله لا يصفي حساباته في أكتوبر.

نحن -كمسلمين- نجد مصداق هذه الحكاية في الكلمة المشتهرة على ألسنتنا: (يمهل ولا يهمل)، ونرددها

ليلًا ونهارًا دون أن نتوقف عندها بتدبر وتأمل، بل القرآن الكريم يصرح بمعناها في مواضع عديدة:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم:٤٢].

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [النحل:٦١].

وغيرهما من الآيات.

المقصود أننا أمام الكثير من الأسئلة والشكوك والتحديات نجد الجواب في الوحي وفي كلام الله دون تكلف ومعاناة، وتكون إجابة الوحي دومًا هي الموافقة للعقل السليم والتفكير الصحيح. وهذا الكتاب بين يديك عزيزي القارئ عبارة عن مجموعة من الشبهات والتساؤلات التي تدور في عقول وقلوب الشباب مع

مناقشتها بشكل عقلي يظهر منه موافقة العقل للشرع، كما تظهر منه قدرة الإسلام على تقديم الأجوبة العقلية المقنعة، وإن شاء الله يكون هذا الكتاب باكورةً لغيره من الإصدارات التي تدور في نفس الفلك، نسأل الله القبول والتوفيق.

لماذا خلقنا الله؟

➤ السؤال: ما الغاية من خلق الإنسان؟ لنعبد الله؟ وهل يحتاج الله لعبادتنا؟

الجواب: في الحقيقة فإن قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾، ينفي تمامًا احتياج الله إلى العبادة، فهو جَلَّ جَلَالُهُ لا يريد من رزق ولا إطعام، فهو منزه عن الاحتياج والافتقار إلى خلقه وهذه المعاني.

إذن ما معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾؟ معناه كما تقول لابنك مثلًا: أنا ما أنجبتك وربيتك وعلمتك إلا لتكون إنسانًا ناجحًا متفوقًا في حياتك! فاللام هنا تشير إلى الغاية المرجوة للإنسان من الخلق ومن الوجود وهي تحقيق ذاته والترقي في مراتب الروح والعقل والنفس، ولا يكون هذا إلا بتحقيق

العبوديـة الحقـة لله تعـالى الـذي خلق الإنسـان عـلى هيئة مخصوصـة وتركيب معين بحيث لا يجد السـعادة الحقة إلا في الجهاد والسعي والبذل لتحقيق عبودية الله عَزَّوَجَلَّ.

هذا بالنسبة إلى الإنسان، فماذا عن الله؟ ونحن نعلم أنه تعـالى منزه عن العبث وأنه حكيم لا يفعل فعلًا إلا لحكمة ولأجل غاية، فما الفائدة التي تعود على الله من خلقنا؟

هنـا نسـتحضر قولـه تعـالى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾، لمـاذا؟ لأن منشـأ الخلـط هو أننا نشـبه الخالق بالمخلـوق، فالإنسـان لا يفعـل فعـلًا إلا لتحقيق مصلحة أو مكسـب أو نفع أو اسـتفادة أو لتجنب ضرر أو مفسدة أو خسـارة، فـإذا سـألتك مثلًا: لمـاذا تعلم ابنـك وتدخله المدرسـة؟ سـتقول لكي يتعلـم ويصـير إنسـانًا ناجحًا في حياتـه، فإذا سـألت: لماذا؟ سـتقول: لأني أحبـه وأحب له الخـير! لمـاذا تحب له الخـير؟ لأنه ابنـي! لماذا تحـب لابنك

الخير؟ ستقول في النهاية: هكذا خلقني الله وفطرني وغرس فيّ حب الابن وحب الخير له، فتجد أن تسلسل العلل والأسباب يتسلسل حتى يصل إلى الله تعالى. فإذا سألنا: لماذا خلقنا الله؟ كانت الإجابة: لأنه أحب ذلك أو أراد ذلك، لماذا أراد ذلك؟ هنا لابد أن يتوقف تسلسل العلل أو سلسلة الـ(لماذا)، بالضبط كما ينقطع تسلسل العلل من وجود الكون عند الله تعالى، ولا نسأل من خلق الله.

كذلك تسلسل الغايات والأغراض والدوافع والمبررات لابد أن ينقطع عند الله، ليس لأن الله غير حكيم أو يتصرف اعتباطيًا، حاشاه، بل لأن عقولنا لا يمكنها أن تستوعب هذه الحكمة على وجه التفصيل من ناحية، ولا أن تستوعب -من الناحية الأخرى- الفرق بين حقيقة صفات الله وطبيعة أفعاله، وطبيعتنا البشرية وطبيعة صفاتنا وطبيعة أفعالنا، لهذا نحن لا نسأله عن أفعاله

ودوافعـه وأغراضـه ومبرراته بينما نحن نُسـأل عن أفعالنا ودوافعنا وأغراضنا ومبرراتنا، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾.

لماذا لم يستشرني الله قبل خلقي؟

➤ السؤال: لماذا خلقني الله دون استشارتي؟ من قال إني أريد تحمل كل هذه المسئولية وهذه التكاليف؟

الجواب: هذا السؤال في جوهره مبني على أساس خاطئ، بيانه فيما يلي:

أولًا: أن الله عَزَّوَجَلَّ ينزه عن استشارة مخلوقاته لمنافاة الشورى لكمال الله تعالى، وذلك لأن المشورة لا يحتاجها إلا المخلوق وتكون إما لنقص علم، أو رغبة في العون، أو سياسة للناس، أو تردد في أمر، وكل ذلك منتف عن الله تعالى.

ولكن الله عَزَّوَجَلَّ يخير من شاء من عباده فيما شاء كيف شاء، والفرق بين الاستشارة والتخيير ليس فرقا لفظيا، وإنما فرق معنوي مؤثر كما هو واضح.

ثانيًا: أن التخيير حاصل لهم في الدنيا بين الطاعة والمعصية وهذا كاف في إبطال شبهة الظلم، فلن يُعاقب أحدٌ إلا بذنبه.

فإن قال الملحد: قصدت أن يخيرنا الله قبل أن يخلقنا في أمر هذه الحياة.

يقال له: فكيف يخيرك وأنت لست موجودًا أصلًا؟! السؤال نفسه ليس منطقيًّا!

فإن قال: إذن يخيرني بعد خلقي مباشرة.

قيل له: وما هي العلوم أو المعارف التي لديك لتتخذ على أساسها قرارك بالبقاء أو الفناء؟ وعلى أي أساس سيكون هذا القرار؟ أم أنك تريد أن تخوض الحياة كلها بكل خبراتها ومعارفها المكتسبة ثم تقرر؟! سيكون هذا هو العبث بعينه!

والله تعالى منزه عن العبث، منزه عن أن يخلق إنسانًا يعلم بعلمه المطلق أنه سيرفض الحياة ويختار العدم ثم يعيده للعدم، فهذا عبثٌ يتنزه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عنه.

ثالثًا: أنَّ مجيء الإنسان إلى هذه الدنيا ليس باختياره، ولكنَّ أفعاله الخيرة أو الشريرة هي التي باختياره، فالأولى هي مقتضى كمال ملك الله تعالى في خلقه، فيخلق ما يشاء كيف شاء متى شاء، ونفي ذلك يستلزم النقص، والله منزه عن النقص.

والثانية من كمال عدل الله تعالى وحكمته أن جعل للعبد القدرة على فعل الخير أو الشر، فأين الظلم في ذلك؟!

رابعًا: أن مطالبة صاحب السؤال بأن يخير الله الإنسان بين البقاء أو العودة إلى العدم، تناقض، فإن مجرد خلق الله تعالى للإنسان يستلزم عبوديته لله تعالى، وعبوديته لله

تعـالى تتنـاف مع رفضـه خلق الله لـه واعتراضـه عليه، بل يلزمه التسـليم بخلق الله تعالى له، ويبقى عليه الإحسان في عبوديته لله تعالى لا الكفر به. ويكون موضوع التخيير ليس الحيـاة في عبادة الله تعالى أو العـدم!!! وإنما يكون موضوع التخيير العبودية لله تعالى بمحض الإرادة والاختيار كما هو الآن، أم بالانقيـاد الكوني لله تعالى كما هو حال المخلوقات الأخرى، فلا يخرج الأمر عن عبودية الإنسان لله تعالى.

ولا شك أن الحرية والاختيار الذي وهبه الله للإنسان في الدنيـا ليـس ظلـمًا، وإنما الظلـم ظلم العبد لنفسـه حين يسيء الاختيار بعد أن بلغته الحجة الرسالية.

خامسًـا: أن مَثَل ما طالب به صاحب السؤال من أمر الشـورى والتخيير مثل مولود قال لوالده إنك ظالم! لأنك ولدتنـي بدون إذني! وكان من حقي لما ولدت أن أخير بين

البقـاء بينكم أو العودة إلى رحم أمـي!! فلو قاله ولد لأبيه لـكان قائل ذلك مجنونـًا، ليس لأن والـده عاجز عن ذلك فحسـب، وإنما لأن ولادته ليسـت ظلمًا له، بل لوالده عليه فضل الولادة، وهذا من أسـباب بر الأبناء بوالديهم لأنهم سـبب في حياتهم، ولا أعني هنا الملاحدة وأبنائهم فإن من العجـب أن يكـون بينهم بر مـع كل هذا الكفـر والمناقضة للعقل.

فكيف بمن يقول لخالقه إنك ظالم لأنك خلقتني بدون إذني ولم تخـيرني بين البقـاء والعدم! فأيهما أقبـح اعتراضًا؟ المعترض على أبيه أم على خالقه!!

سـادسًـا: أن الله خلق الإنسان لعبادته، فإن قال: أختار العدم على عبادتك!!! ألا يكون اختياره قبحًا وعصيانًا؟!! فكيـف يكـون المخلوق مخـيرًا بـين الطاعـة والمعصية على

السواء ثم يكون جزاء من أبى الطاعة وصدف عنها أن يعفى من التكليف؟!!

ثم يكون المكلف المعرض للعقاب عند التقصير هو الطائع دون من اختيار العصيان من أول الأمر؟!

لماذا ينبغي علينا أن نعبد الله؟

➤ السؤال: لماذا ينبغي أن أعبد الله وأشكره على نعمة الخلق والإيجاد والرزق بينما هو لم يستشرني أو يطلب رأيي قبل أن يخلقني إن كنت أريد أن أوجد أم لا؟

للجواب عن هذا السؤال مسلكان:

المسلك الأول: وهو الجواب الذي نقدمه للملحد المعاند المكابر أن نقول له إن سؤالك أصلًا غير منطقي لأنك لم تكن موجودًا أصلًا قبل خلقك، فكيف كان الله سيسألك رأيك أو يستشيرك؟! هذا غير معقول أصلًا!

أما المسلك الثاني: فهو الجواب الذي نقدمه للباحث عن الحقيقة أو المسلم الذي لديه مجرد إشكالات أو شكوك تحتاج إلى جواب، فهذا نحيله إلى الفطرة والعقل السليم الذي من أصوله وجوب شكر المنعم ورد الجميل،

فكيف بمن خلقك وأخرجك إلى الوجود ومنحك الحياة والرزق؟!

وهذا الأمر يسري سواء كانت هذه النعمة أو الخدمة أنت طلبتها أم لك تطلبها، ودعني أضرب لك مثالًا يقرب المسألة إلى الأذهان، ولله المثل الأعلى:- تصور أن ابنك بعدما كبر وصار رجلًا قادرًا يعتمد على نفسه قال لك: لماذا من المفروض أن أشكرك على كل ما قدمته لي من إنجابي وتربيتي والإنفاق علي وتعليمي ومساندتي في كل مراحل حياتي؟ أنا لم أطلب منك أن تنجبني ولا أن تربيني ولا أن تنفق علي ولا أن تعلمني ولا أي شيء، بل أنت لم تطلب رأيي في أي شيء من هذه الأشياء كلها، لماذا إذن أنا مطالب ببر الوالدين ورد الجميل إليهما بينما كل ما فعلاه لم يكن لي فيه رأي ولا مشورة؟!

ما رأيكم؟ هل هذا المنطق مستساغ؟ هل هذا المسلك في التفكير منطقي وعقلاني وموافق للفطرة وللخبرة الإنسانية؟ أترك لكم تأمل وتدبر هذه المسألة.

تعدد الأديان

➤ السـؤال: ما يدرينا أننا علـى الحق بينما هناك آلاف الأديان والمعتقدات في العالم؟

الجواب:

أولًا: لا يصح أن ننصب تعـدد الأديـان والمعتقدات كدليـل على صحة الإلحـاد، فتعدد الأجوبة على سـؤال ما لا يعني أن السؤال غير موجود، كذلك تعدد طرق العلاج من مرض ما لا يعني أن المرض غير موجود، وهكذا..

المقصـود أن وجود العديد مـن الأديان والمعتقدات في العـالم دليلٌ على أن البشرية كلها تسـعى للإله المعبود وأنها تدرك بالفطرة والعقل حتمية وجوده وضرورة التوجه إليه بالعبادة. بل إن الأدلة التاريخية المتراكمة تشـير إلى أن أقدم

الحضارات على وجه الأرض كانت تتوجه بالعبادة إلى إله السماء، الإله المطلق خالق كل شيء[1].

ثانيًا: تعدد الأديان في العالم يمكن تفسيره بوجود دين واحد صحيح بينما الباقي من تحريفات البشر وابتداعهم، وهذا التفسير أقرب للعقل والمنطق من نفي أصل الدين وأصل العبادة وأصل وجود الله. وهذا هو الفرق بين الباحث عن الحق والمكابر المعاند؛ فالأخير لا يكترث بماهية الأديان ويفكر بمنطق أنه لا فرق بينها، وهذا خطأ! أما الباحث الجاد فيفحص ويدرس حتى يصل إلى الدين الصحيح، تمامًا كما يفعل المحقق الجنائي الذي يبحث في جريمة ليصل إلى معرفة مرتكبها، بدلًا من أن يقول إنه لا توجد جريمة أصلًا!! فهذا جنونٌ منافٍ للمنطق والعقل السليم!

---

(١) علي سامي النشار، نشأة الدين: النظريات التطورية والمؤلهة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٩.

ثالثًا: يمكننا معرفة الدين الحق بطريقين:

الأول: هو الطريق الداخلي من خلال النظر العقلي في الكون المخلوق الذي يدلنا على وجود الله ووحدانيته واتصافه بصفات العلم والقدرة والحكمة وضرورة الجزاء الأخروي، فإذا نظرت في أديان الأرض لم تجد من يدعو إلى الله بهذا الوصف الذي يدل عليه العقل إلا الإسلام.

الثاني: هو الطريق الخارجي من خلال النظر في أدلة صدق النبي الذي بلغ الدين، وهي في الإسلام تشمل المعجزات الحسية والمعنوية والإخبار بالغيوب والتأييد الإلهي والنصر على الأعداء على خلاف السنن الكونية، إلخ.. ولا يوجد على وجه الأرض دينٌ يحمل من الدلائل والبراهين على صدقه إلا الإسلام.

وهذه مجرد خطوط عريضة ليسير عليها الباحث عن الحق.

لماذا الكافر يجب عليه البحث عن الدين الحق بينما المسلم لا ينبغي له ذلك؟

➤ السؤال: كيف يمكن الجمع بين أن الكفار مطالبين بالبحث والقراءة في مختلف الأديان ليصلوا للحق بينما يحرم على المسلم ذلك؟

الجواب: للأسف هذا من أبرز أبواب سوء الفهم، لأنه مبني على التسوية بين الإسلام وغيره من الديانات الباطلة. والأمر في حقيقته يشبهه أحد إخواننا بالباب الذي نبحث له عن المفتاح الصحيح ضمن سلسلة من المفاتيح، فمن لديه المفتاح الصحيح لن يضيع وقته في البحث عن مفتاح آخر، بينما من لا يعرف المفتاح الصحيح فسيظل يبحث حتى يجد هذا المفتاح. فإن فطرة الإيمان بالله وفطرة الدين مغروسة في الإنسان، وهذه الفطرة تقتضي من الإنسان ألا يجد اليقين والطمأنينة إلا في الإسلام لأنه

هـو الدين الوحيد الموافق للفطـرة، والفرق بينه وبين غيره من الأديان واسع كبير.

ويكمن أصل هذه الشـبهة في حقيقة أن المسـلم يشعر بالاطمئنان لدينه ويحسـب أن كل أتبـاع الأديان على نفس الشـاكلة والاطمئنان، وهذا خلاف الحقيقة. فأنت لن تجد خيرًا في أي دين إلا وفي الإسـلام خير منه، ولن تجد سـوءًا في أي دين إلا والإسـلام بريء منه، فالإنسان مفطور على الإيـمان بـالله الواحـد الأحد الفـرد الصمد الـذي ليس له شريك ولا ولد ولا صاحبة، ومن سـمات هذا الدين الحق أنـه مبـذول لكل البـشر وليس لعـرق أو جنـس. فالفطرة تقتضي ألا يلتفت الإنسـان للأديان الوثنية أو الشركية، ثم إذا بحـث في الأديـان التوحيدية لن يجد المفتـاح الصحيح الموافق للفطرة إلا في الإسلام.



لماذا خلق الله الكافر؟

➤ **السؤال: لماذا يخلق الله الكافر ثم يدخله النار؟ هل هذا من العدل؟! وما الحكمة من وراء ذلك؟**

➤ **ثم ألا يتناقض هذا مع اتصاف الله بالرحمة؟!**

الجواب: نحن بحاجة إلى التفرقة بين اعتبارين:

الأول: هو هل هذا الكافر مستحق للنار أم لا، وهذا هو المناط الذي يتقرر بناء عليه هل دخوله النار من العدل أم من الظلم.. وهنا نجد أن الكافر لا يدخل النار حتى يستحقها فعلًا بأفعاله وتصرفاته.

والاعتبار الثاني: هو هل هناك حكمة من خلق الكافر أم لا.. وهنا نجد أن الله تعالى قد خلق الكافر وكلفه

بالإيـمان ليمتحـن المؤمنـين ويبتليهـم بهـذا الكافـر فتعلو درجاتهم وترتفع..

فإنـه سـبحانه أراد أن يتخـذ من عبـاده أنبياءً ورسـلًا وأولياءً وشهداءً يحبهم ويحبونه..

فخلى بينهم وبين أعدائه من الكفار وامتحنهم بهم..

فلما آثروه وبذلوا نفوسـهم وأموالهـم في مرضاته نالوا من محبته ورضوانـه والقرب منه ما لم يكن لينال بغير ذلك أصلًا..

فدرجـات الرسـالة والنبـوة والشـهادة والحب في الله والبغض فيه ومـوالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين عنده من أفضل الدرجات..

ولم يكـن لينالهـا أحدٌ إلا على هـذا الوجه الـذي قدره وقضاه من خلق الكافر وتكليفه بالإيمان والطاعة..

فيظهر من كل هذا أن تكليف الكافر فيه مصلحة لغيره، فلا يصح وصفه بالعبث المجرد من الحكمة..

فالواقع أن الله تعالى قد كلف جميع عباده أن يعبدوه، سواء في ذلك المسلم والكافر..

وهو منح جميع المكلفين القوة والقدرة على إتيان ما كلفهم به..

ومكنهم مما كلفهم به بالأدوات المناسبة لعبادته من العقل والجوارح..

وهذه الأمور ثابتة في حق المؤمن والكافر والبار والفاجر على سواء..

ولا فرق بين المؤمن والكافر في كون كل منهما قد أوتي كل المؤهلات اللازمة للنهوض بالتكليف..

فالله أعطى الجميع ولم يحرم أحدًا تحقيقًا لمعنى العدل..

الفرق في ذلك هو أن المؤمن أحسن الاختيار لنفسه، واستعمل عقله فهداه الله إلى الإيمان..

أما الكافر فأساء الاختيار، وأهمل عقله فلم يهده الله فكفر..

وسوء اختيار الكافر لا يخرج فعل الله تعالى عن نطاق العدل، كما أنه لا ينزع عنه سبحانه حقيقة إنعامه وإحسانه إليه..

والضرر الذي لحق بالكافر إنما كان من قبل نفسه لسوء اختياره؛ لأنه كان يستطيع أن يختار الإيمان على الكفر..

أما بخصوص المسألة الثانية: هل صفة الرحمة تتناقض مع تعذيب الكفار في النار، فالجواب: أن السؤل نفسه غلط، فإن صفة الرحمة يراد بها:

★ ما يرحم الله به المؤمن والكافر من رحمة الدنيا التي تشمل نعمة الإيجاد والإمداد والرزق والعافية والمال

والولد، ونحوها من النعم الدنيوية، فهذه رحمة ثابتة لكل مخلوق، ويحصل الابتلاء لبعض الناس بما يشاء الله تعالى في خلقه حكمة منه واختبارًا.

★ وأما رحمة الآخرة فهي خاصة بالمؤمنين، فكيف يقال أنها تتناقض مع الكافرين؟! ومتى كانت الرحمة الأخروية حقا لهم حتى يكون حرمانهم منها تناقضا مع صفة الرحمة؟!

إن السائل ربما يظن أن كمال رحمة الله تعالى يستلزم أن يجعل إبليس في أعلى الجنان، وأن كل من قتل نبيًّا أو صالحًا أو زنى بأمه ينبغي أن يجعله الله في أعلى الجنان لأن الله رحيم!! فأي فهم هذا لكمال الله تعالى حتى ينسب إلى الله الظلم إذا لم يحكم بهذه الأحكام؟!

إن رحمة الله تعالى في الآخرة لها متعلقها وهم المؤمنون، يقول الله تعالى: ﴿ قَالَ عَذَابِيَ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي

وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

وعذابه متعلقه من قامت عليهم الحجة الرسالية فاختاروا الكفر على الإيمان، يقول الله تعالى: ﴿ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾.

فصار الناس فريقين:

★ فريق لهم الرحمة في الآخرة وهم الذين تتعلق بهم صفات الرحمة والعفو والرضى والمغفرة.

★ وفريق لهم العذاب في الآخرة، وهم الذين تتعلق بهم صفات القهر والغضب والعقوبة.

فالأولى مقتضى كمال الله في إحسانه وفضله.

والثاني مقتضى كمال الله تعالى في عدله وقهره وسلطانه.

والجميع من مقتضى حكمة الله تعالى وعلمه.

وليس في الأمر تناقضٌ بين الصفات؛ فإن التناقض لا يكون إلا مع اتحاد المحل والإضافات والنسب، وليس هنا من ذلك شيء، ففرق بين متعلقات صفات الرحمة والرضى، ومتعلقات صفات القهر والغضب.

إذا علم هذا علم أن دعوى التناقض بين صفات الرحمة وتعذيب الكفار في النار مغالطة سببها عدم تمييز متعلقات الصفات وآثارها في الخلق، وارتباطها بصفة الحكمة الإلهية، التي هي من أعظم صفات الله عَزَّوَجَلَّ، فيحار الإنسان في كثير من أمره حين يحاول أن يحيط بجميع حكمة الله تعالى في أحد مخلوقاته فضلًا عن جميع حكمته في جميع مخلوقاته، وهي حيرة سببها عجز الإنسان عن الإحاطة بكمال الله تعالى الثابت له، مع شهوده حكمة الله تعالى في كثير من مخلوقاته وآياته، لتكون حجة عليه في إثبات الحكمة، والتسليم لله بما لم يحط به لعجزه.

خلود الكافر في النار

➤ السؤال: لماذا يكتب الخلود في النار الأبدية لمن يكفر مدة حياته القصيرة المحدودة؟

الجواب: بخصوص العقاب الأبدي في النار فالرد من وجوه:

أولًا: الكافر الذي لم يؤمن ولم يخشع طوال حياته يكون نصيبه العذاب الأبدي في النار، فهذا هو ما يستحقه؛ لأنه لو عاش دهره كله لما بدر منه خلاف ذلك، فجاءت العقوبة حسب نية الكافر، أي: نيته في أن لو مدَّ الله عمره أبدًا لعصى الله أبدا، فكان الجزاء حسب نيته، وإنما الأعمال بالنيات.

ألا ترى أن الكافر الذي قامت عليه الحجة وتبين له الحق وجحده واستكبر على الدخول فيه، يود لو يعمر أبد

الدهـر في هذه الدنيـا ولا يفارقها أبدًا؟ بـلى! وهو في حاله هـذا ينـوي ألا يقبـل الحق أبـدا ولا يذعن له ولـو بقي أبد الدهـر في هذه الدنيـا! فكان من العدل أنه إذا ما أتاه الموت في أي لحظة وهو على هذه الحال وعلى تلك النية، أن يجازى بالخلـود في النـار، وهي تلك العقوبة التـي كفر بها وكذبها مـن بعد ما قامت حجتها عليـه في الدنيا، ومن بعد ما علم أن الموت آتيه في أي لحظة، كسـائر البشر، فلا يكون للناس خلـود في هذه الدنيا. علم ذلك كله وتبين له ولكنه جحده وأصر عـلى جحد خالقـه العظيـم جَلَّوَعَلَا، فالعقوبة واقعة عليه استحقاقًا ولا شك!

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وذكـر ابن القيم سفسـطةً للدهريين هـي قولهم: «إن الله أعـدل مـن أن يعصيـه العبـد حقبًا مـن الزمـن فيعاقبه بالعـذاب الأبـدي»، قالـوا: «إن الإنصـاف أن يعذبه قدر المدة التي عصاه فيها».

ثم قال -في ردها-:

وأما سفسطة الدهريين التي ذكرها – أي: ابن القيم – استطرادًا: فقد تولى الله تعالى الجواب عنها في محكم تنزيله، وهو الذي يعلم المعدوم لو وُجد كيف يكون، وقد علم في سابق علمه أن الخُبث قد تأصل في أرومة هؤلاء الخبثاء بحيث إنهم لو عُذبوا القدْر من الزمن الذي عصوا الله فيه ثم عادوا إلى الدنيا لعادوا لما يستوجبون به العذاب، لا يستطيعون غير ذلك، قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الأنعام:٢٧، ٢٨]. انتهى من «مجالس مع فضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي» الشيخ أحمد بن محمد الأمين (ص٥٩).

ثانيًا: لا يكفي النظر لوقتية المعصية أو صغرها، بل يجب أن تضع في اعتبارك أن معصية لله رب العالمين! وكما قيل: لا تنظر إلى عظم المعصية، بل انظر إلى عظم من تعصيه!

وقد حذر رسول الله ﷺ من الكلمة يتفوه بها المرء لا يلقي إليها بالًا تهوي به إلى أسفل سافلين!

ثالثًا: نحن لا ننظر للحياة وأفعال البشر فيها على أنها مجرد مصادفات أو موافقات..

بل كل ما يفعله المرء هو استدراج من الله تعالى ليظهر مكنونات نفسه وليفصح عن طبائعها.

فإن ظهر منه الخير وغلب عليه، كان ذلك هو طابعه وباطنه الذي استحق عليه الثواب..

وإن غلب عليه الشر والإثم، كان ذلك طابعه وباطنه الذي استحق عليه العقاب..

فالثواب والعقاب هو لهذه النفس الذي خرجت منها هذه الأفعال، لا للأفعال المجردة من أصحابها!

لهـذا يخبرنا الحديث الشريـف أنه لن يدخـل أينا الجنة بعمله..

فأنت مهما عملت من صالحات، لن تشتري الجنة!

إنما هو فضل الله ونعمته على عباده المؤمنين..

لما عرفه في نفوسـهم من خير وإيمان، لا لما كسـبوه من ثواب وحسنات!

كذلك الأمر في النار..

لن يخلد الكافر لأنه أذنب وكفر لمدة سـتين عامًا فقط، بل لرداءة نفسه وخبث طويته وسوء ظنه بربه!

وتجـد العلاقـة بين أفعـال النفـس وطبيعتهـا واضحة في الأحاديـث الشريفـة كحديث المرء الـذي يصدق حتى يُكتب عند الله صديقًا..

والذي يكذب حتى يُكتب عند الله كذابًا!

وحديث آية المنافق ثلاث..

وحديث أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيها إحداها كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها..

وغيرها من الأحاديث التي توضح أن أفعال المرء ما هي إلا انعكاسات نفسه ومظاهر باطنه!

فما العقوبة إلا على هذه النفس الرديئة، وليست على مجرد الذنب المحدود في الزمان والمكان، بل العقوبة أصلًا موضوعة لهذا الشخص ولهذه الشخصية..

فهذه الشخصية التي تأصل فيها الكفر والجحود لرب العالمين هي التي يقع عليها العذاب..

وليس الفعل المحدود في الزمان والمكان إلا مجرد حجة ودلالة على هذه الشخصية المستحقة للعذاب..

كما أن ورقة الإجابة في الاختبار دليل على شخصية الطالب المستحقة للنجاح أو الرسوب..

فليس النجاح أو الرسوب في الامتحان لأجل مجرد كلمة كتبها في الورقة أو إجابة سطرها في الصفحة..

بل هذا النجاح وهذا الرسوب لأجل الشخص الذي عبر عن نفسه وعن مجهوده وعن تحصيله العلمي في هذه الورقة..

فهذا الذنب الذي تراه يسيرًا هو في الواقع مجرد لافتة كبيرة على باطن شخصي مستحق للخلود في النار..



لماذا يخلد في النار من لم تصله رسالة الإسلام بشكل صحيح؟

➤ السؤال: أنا مؤمن موحد بالله ورسوله لكني أؤمن أيضا أنه من الظلم من لم يصل له رسالة الإسلام بالشكل الصحيح أن يخلد في النار وهو الحال مع أغلب أهل الأرض. هل يعتبر فكري هذا من نواقص الإيمان؟

الجواب: لا إشكال في كون من بلغه الإسلام مشوهًا يكون معذورًا بجهله، لكن ينبغي التمييز في تعريف التشوه هنا، فلا شك أنه سيكون معذورًا من بلغه أن الإسلام يدعو إلى الشرك مثلًا أو عبادة الأصنام أو عبادة محمد بخلاف من يعلم أن الإسلام يدعو إلى التوحيد وأن محمدًا رسول من الله الواحد الأحد أوحى إليه بالقرآن لكن عنده شبهات متعلقة بالجهاد أو تعدد الزوجات مثلًا.

الكافر الذي قدم خدمات للإنسانية

➤ السؤال: كيف يدخل الكافر الذي قدم خدمات جليلة للإنسانية في النار بينما المسلم الذي يرتكب جرائم وفظائع يدخل الجنة؟

الجواب: الله هو الذي يعاقب المخطئ ويثيب المحسن، فالقاتل والمغتصب واللص وغيرهم سيلقون العقاب العادل في الآخرة لا شك في هذا، كذلك الكافر بالله سيلقى العقاب العادل من الله.. فإن الله حكم عدل، وهو الحق الذي يفصل بين العباد بالحق ولا يظلم ربك أحدًا، هذه هي الأصول الثابتة الكلية التي لابد أن يستحضرها المرء عند مناقشة المسائل الجزئية.

فمن المهم استحضار حقيقة أن مرتكبي الكبائر من المسلمين لن يفلتوا من العقاب، لكنه في النهاية ليس كعقاب الكافر، لماذا؟

لأن الكافر في حقيقة أمره لم يفعل الخير طوال حياته ولم يخدم الناس والبشرية لأجل الله تعالى، فلا يصح أن يقع عبء مجازاة أو مكافأة هذه الخدمات على الله، بل العدل

يقتضي أن يتلقي الجزاء والثواب من الجهة التي قدم إليها الخدمات وعمل في سبيلها، فمن يعمل في سبيل الإنسانية، يكون جزاؤه واجبًا على الإنسانية، ومن يعمل في سبيل الوطن، يكون جزاؤه واجبًا على الوطن، ومن يعمل في سبيل المجتمع، يكون جزاؤه واجبًا على المجتمع، إلخ..

وهذا الأمر يشبه حكاية موظف يعمل في شركة تطالبه بأداء بعض الأعمال، ثم هذا الموظف قام بهذه الأعمال خير قيام لكن لصالح شركة أخرى، ثم ذهب يطالب شركته الأصلية بأجر أداء هذه الأعمال. في هذه الحالة لا يلزم الشركة الأصلية أن تعطيه شيئًا، بل قد يلزمها أن تعاقبه لأنه لم يؤد عمله تجاهها.

ويشبه بعض الأذكياء هذا الأمر بطالب دخل امتحان الفيزياء، وبدلًا من إجابة أسئلة الامتحان انطلق يسرد أحداث التاريخ بشكل تفصيلي وإبداعي، ثم فوجئ عند ظهور النتيجة بأنه رسب في هذا الاختبار رغم أنه لم يكتب أي معلومة خاطئة!! فهذا كمن كفر بالله وأبى عبادته، ثم ذهب يفعل الخير لغيره سبحانه!

وبمناسبة هذا الموضوع اسمح لي أن أحكي لك قصة عن مريض في غيبوبة ومحجوز بالعناية المركزة على جهاز التنفس الصناعي، طبيبه المعالج كان إنسانًا مرهف المشاعر ملأ غرفته بالورود الجميلة المبهجة وكان يقوم بتعطيرها بانتظام وكانت الغرفة بصراحة عبارة عن جنة مليئة بالروائح العطرة والمناظر المبهجة، لكنه للأسف كان يهمل في علاج المريض ولا يضبط إعدادات جهاز التنفس الصناعي كما ينبغي ولم ينتبه لحالته الصحية وهي تتدهور حتى مات المريض في نهاية الأمر.. عند التحقيق مع هذا الطبيب، قال لقد تفانيت في جعل غرفة المريض جميلة ومبهجة حتى أن جميع أقاربه كانوا منبهرين بهذا، ولا يوجد أي مبرر لعقابي أو مساءلتي.

ما رأيك؟ لو أنت في موقف المحقق، هل ستكافئ الطبيب أم تعاقبه؟



وفي الختام أود أن أقدم نصيحة متواضعة لجميع الشباب المسلم والمتشكك والباحث عن الحقيقة بصدق، وهي ألا تترك نفسك فريسة للشبهات ولا تدع عقلك فريسة للشكوك، بل ابحث عن المعرفة عند المتخصصين في الرد على شبهات الملحدين، وليس أي شخص متدين قد لا يملك العلم الكافي، لأنه رغم أن غالب هذه الشبهات يمكن الإجابة عنه لمن يملك قدرًا معقولًا من العلم بالدين، لكن بعضها يحتاج أحيانًا إلى متخصص. فإن سبب الشبهة هو جهل المسألة وعدم الإحاطة بها، وعلاجها هو العلم والفهم، وطريقة هذا العلاج هي البحث وتوجيه السؤال لأهل العلم والتخصص، فالعلم سلاح المؤمن ضد كل الشبهات، ومن ذلك قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ**» (والحديث في سنن أبي داود).

ويمكـن ترتيب ذلك عن طريق التواصل مع صفحة قسم دراسة الإلحاد بمركز الفتح على الفيسبوك:

https://www.facebook.com/Antiel7aad

أو صفحة برنامج (حوار الإيمان والإلحاد) -وهو برنامج تليفزيوني على قناة الرحمة الفضائية- على الفيسبوك:

https://www.facebook.com/FADialogue

أضف إلى هذا أهمية الصحبة الصالحة والرفقة المؤمنة، فإنـه لا يجوز عنـد عاقـلٍ أن تطلب العـلاج وأنت تمارس نفـس العـادات الخاطئة التـي تزيد من المـرض كالتدخين والطعـام الرديء، كذلك لا يصح لطالـب الحق أن يكون مرحاضًـا لزبـالات الملاحدة، إنـما يلزمه أن يلغـي متابعته لصفحاتهـم ومجموعاتهـم ومواقعهم ومنتدياتهـم، ويقوم بمتابعة الصفحات والمجموعات والمواقع والمنتديات التي تعني بنشر الحق والرد على شبهات الملحدين مثل:

العلم يؤكد الدين:

https://www.facebook.com/islam.anti.atheism

بالقرآن اهتديت:

https://www.facebook.com/GTQuran

برنامج حوار الإيمان والإلحاد:

https://www.facebook.com/FADialogue

صناعة المحاور:

https://www.facebook.com/Mohawir

مركز دلائل:

https://www.facebook.com/Dalailcentre.Ar

كامل الصورة:

https://www.facebook.com/The.entire.image

الباحثون المسلمون:

https://www.facebook.com/The.Muslim.researchers

مركز يقين:

https://www.facebook.com/yaqeennet

قسم دراسة الإلحاد - مركز الفتح:

https://www.facebook.com/Antiel7aad

حقيقة التطور:

https://www.facebook.com/the.fact.of.Evolution



حقيقة الملحدين والعلمانيين العرب:
https://www.facebook.com/facteatheism

الدكتور محمد داود:

https://www.facebook.com/MohamedDawodOfficial

أبو عمر الباحث – مكافح الشبهات:

https://www.facebook.com/AntiShubohat

الفيزياء ووجود الخالق:
https://www.facebook.com/MOS.Physics

قناة البينة للرد على الشبهات:
https://www.facebook.com/albyyinah

ورينا نفسك:
https://www.facebook.com/WrynaNfsk

كهنة الإلحاد:

https://www.facebook.com/kahnat.elhad

نقد نظرية التطور وحقيقة الخلق:
https://www.facebook.com/creation.evoulution.18

العلم وأصل الإنسان:

https://www.facebook.com/H.origins



مركز براهين لدراسة الإلحاد:

https://www.facebook.com/braheen.org

انهيار الداروينية:

https://www.facebook.com/collapse.atheist

تشريح دماغ الملحد:

https://www.facebook.com/atheistbrainanotomy

منتدى التوحيد للرد على الملاحدة:

https://www.facebook.com/WwwEltwhedCom

وهذه مجرد أمثلة...

وفي النهاية أسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يشرح صدورنا جميعًا للحق ويهدينا الصراط المستقيم وأن يجعلنا هداةً مهتدين وسببًا وسبيلًا لمن اهتدى.

تمَّ بحمد الله

"انت منين؟"

هذا هو السؤال الذي غالبًا ما يبدأ به الغرباء التعارف بينهم، وعادة لا يتم التعارف أو إقامة صداقة إلا بعد معرفة إجابة هذا السؤال. ولا تقتصر الإجابة فقط على معرفة العائلة ونوع الدراسة والمدينة التي جاء منها الشخص؛ بل تمتد إلى كل شيء له علاقة بـ"انت منين؟" كذلك نحن البشر بحاجة إلى معرفة من أين جئنا؛ هل جئنا بالتطور المادي من كائنات وحيدة الخلية لا هدف ولا غاية ولا معنى؟ أم جئنا من عند حكيم عليم لأجل هدف وغاية ومعنى؟







القاهرة: 5 درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر.
هاتف: 00202/25061621 - تليفاكس: 00202/25061620
الإسكندرية: باكوس - محطة القطار - امام مسجد نور الإسلام.
هاتف: 03/5752766 - 01147944749
دار المعالي
Almaalidar@gmail.com

اصدارتنا متوفرة في مكتبة نيل وفرات. كوم
ليصلك كتابنا أينما كنت
WWW.NWF.COM

اصدارتنا متوفرة أيضاً بصيغة اليكترونية
لأجهزة المحمولة على موقع كتاب
WWW.K-TAB.NET